

# مآدم من الجحيم

للأستاذ عسوة مصطفى

Dr. Esma Mohamed  
The High Noon Press, Cairo

# قادم من الجحيم

رواية قصيرة

عمرو مصطفى

# 1

كهف الماموث..

ولاية كنتاكي .. الولايات المتحدة الأمريكية ...

إنها الثالثة بعد منتصف الليل ...

\*\*\*

الظلام يخيم على غالب المشهد داخل كهف الماموث .. أحد أطول

كهوف العالم .. توجد إضاءة خافته لا يدرى مصدرها حقيقة .. لكنها

تترك انطباع غير محبب للنفس حينما تلقى

بظلالها على النتوءات الصخرية في باطن الكهف .. يقولون إن بداخل

الكهف أروع المناظر الطبيعية التي يمكن أن تشاهدها في باطن كهف

.. لكن هذا المكان المقبض .. لا يمت للجمال والروعة بصلة ... شيء

ما يتحرك من هنا إلى هناك .. خفافيش ..الظلام يجعلك تتخيل أي شيء .. يقولون إن كهف الماموث يضم مجموعات نادرة من الخفافيش .. ويقولون كذلك إن مكان تواجد تلك الكائنات لا يصل إليه بشر..

لا توجد إضاءة صناعية في ذلك المكان لأنه لا توجد زيارات سياحية تستطيع الوصول إلى تلك المسافات في عمق الكهف .. توجد فقط بعض الزيارات المجنونة .. المجانين فقط هم من يأتون في مثل ذلك الوقت .. المجانين فقط هم من يرتدون تلك العباءات السوداء التي تدارى معالمهم الأدمية ..المجانين فقط هم من تأتي الخفافيش وتحط على أكتافهم ولا يكثرثون ..  
المجانين فقط .. أو ...  
كائنات لا تمت لعالمنا بصلة ...

\*\*\*

دماء كثيرة سألت بسبب مصاص دماء مزعج .. روع حي بأكمله .. وهو مصمم على أن يمتص دماء آخر ضحاياه .. لا ادري كم لتر من الدماء تسع معدته الضامرة تلك .. المهم انه جذب آخر ضحاياه إليه مقربا العنق ..

ومال على عنق الضحية التي استسلمت لقدرها المحتوم .. صوت زمجرة حيوانية تنبعث مع أنفاسه الكريهة.. ولمعت أنياب للحظات وهي تقترب من عنق الضحية قبل أن أقوم بتغيير قناة الأفلام

إلى قناة أخرى رياضية ..

هنا أصدرت زوجتي العزيزة علياء زمجرة لا تقل حيوانية عن زمجرة الأخ مصاص الدماء في الفيلم معلنة أنني أتعدى على حقها في المشاهدة ..

- علياء.. أرجوك لا تتحولي إلى مصاص دماء الآن .. فانا بحاجة إلى فنجان قهوة مضبوط ...

نظرت لي نظرة نارية .. من تلك النظرات التي لو قدر لها أن تقتل لتحولت إلى مصفاة من فوري ...

- قهوة الآن يا منصور !!

- فاصل قصير من القهوة .. أنا اخشى عليك من تلك الأفلام ..

قالت في شمم :

- زوجتك حديدية ...

- احتفظي بشجاعتك هذه حينما تنطفئ الأنوار .. ولا تنس أنك كلما

شاهدت فيلم من تلك النوعية تقومين بتمثيل الفيلم

أثناء نومك .. وأنا لست مستعدا للعض هذه الليلة

وهكذا اتركها تقوم بعصيبة إلى المطبخ لتعد لي القهوة لأتابع

بعض التعليقات الرياضية على شاشة المرئي و... هنا سمعت

صراخها يصم أذناي قادمًا من المطبخ ..ولا ادري كيف انطلقت

كالسهم مخترقا المطبخ لأجدها تثب في الهواء على ساق واحدة وهي

تردد في جزع:

- فأر .. فأر يا منصور ...

جثوت على ركبتني استجمع أنفاسي المتلاحقة وأنا أتحاشى ركلها في  
أي لحظة ...

صاحت في وهى لا تكف عن الوثوب :

- افعل شيئاً يا منصور .. فأر .. فأر ..

كنت قد هدأت قليلاً واستجمعت أنفاسي المبعثرة فنظرت إليها في  
غل قائلاً :

- الفأر يؤكد أنك أصبتيه بنوبة قلبية جراء صراخك .. لا أريد

قهوة .. سأنام .. حتى استيقظ مبكراً لأذهب إلى مطار القاهرة  
.. لاستقبال باسم ابن أختي ..

صاحت في بغیظ :

- تستيقظ مبكراً .. ولما طلبت منى القهوة ..؟

- كنت أريد أن اقتل الفأر المزعج ...

وتركتها واتجهت إلى فراشي في تهالك .. غدا يوم شاق .. باسم ابن

أختي الوحيدة التي تعيش بالولايات .. منذ أكثر من عشر سنوات ..

لعله لم يبلغ السادسة عشرة من عمره .. مرحلة عمرية خطيرة وشائكة

...

لا ادري لماذا قررت أختي هي وزوجها أن يأتي باسم ابنيهما الوحيد

ليقضى معي فترة الإجازة الدراسية .. في مصر ... صحيح إنني لم

انجب بعد وشقتي لن تضيق بابن أختي.. لكن ... تبا لتلك الانحرافات  
المزاجية المفاجئة ...

لم أدرى وقتها أن المسألة ليست انحراف في المزاج من قبل أختي  
وزوجها الموقر..

لكنني لم أدرى وقتها .. أن حياتي ستتحوّل إلى جحيم حقيقي بسبب ابن  
أختي القادم من بلاد العم سام ...

لم أكن أدرى أن حياتي ستتحوّل إلى فيلم رعب لا يمكنني أن أنهيه  
بضغطه

بسيطة على زر بجهاز التحكم عن بعد ...

\*\*\*

كهف الماموث .. ولاية كنتاكي .. الولايات المتحدة ..

\*\*\*

كتل سوداء من الخفافيش المتراكمة هي ما تحوّل إليه أصحاب  
العباءات السوداء..

بعض أصحاب العباءات كانوا أقل حجماً طويلاً وعرضاً .. ولا يبدو  
عليهم التماسك مثل الآخرين وبالتالي الخفافيش لا تحط على أجسامهم  
مثل الآخرين..

كان هناك حديث يدور بلغة غير مفهومة .. لغة ليست حية على  
الأطلاق ...

يقترّب احد أصحاب العباءات السوداء صغيري الحجم من كتل الخفافيش لكن بحذر يجثو على ركبتيه.. كأنما يناشدها .. يبدو انه يكلمها .. ويبدو أنها تفهمه ... إذ سرعان ما انفصلت بعض تلك الكائنات البشعة .. وحطت على عاتقيه ... بعدها انهالت عليه اسراب الخفافيش .. أصوات خفقان الأجنحة البشعة يتردد ..

وتعالت هتافات ترحيب من بقية أقرانه ومن أصحاب العباءات كبيرى الحجم.. والشأن أيضا .... و ..

هنا سطعت الأضواء المبهرة في المكان ... وتعالى صوت الخفافيش المنزعجة من الإضاءة المفاجئة وهى تولي هاربة .. وتعالت أصوات أخرى حيوانيه تحتج على إزعاجها ..

- شرطة .. تجمدوا مكانكم ...

عشرات الأزياء الرسمية تحيط بالحفل وأصوات (الكلاك تاك) المميز لأسلحة

تستعد للفتاهم الخاص مع مثيرى المتاعب ..

أصحاب العباءات ضخام الجثة يتلونون أرضا .. أيادي قاسية تمتد لتكشف وجوه أصحاب العباءات صغيرى الحجم ... وسطعت الأضواء على وجوه تخطوا حثيثا باتجاه الرجولة وإن لم تفارقها براءة الطفولة بعد ..

وجوه مراقبين ..

صاح ضابط أسود تبدو عليه سمات القائد :

- انهم ضالتنا .. أخرجوهم دون أذى .. وسيطروا على الباقين ...  
واستدار ليلقى نظرة على من سماهم باقين ....  
وشعر بالدماء تتجمد في عروقه.. والشعر ينتصب حول ساعده  
وارتعشت شفثيه الغليظتين وهو يتمتم :  
- رحماك يا الهى .....

\*\*\*

خارج الكهف كان الفجر قد بدا يعلن عن نفسه كفارس جاء ليقهر  
مملكة الظلام ... والى جوار سيارات الشرطة التي تدوى أبواقها  
وأضوائها لا تكف عن مداعبة العيون مداعبة سمجة وقف الضابط  
الأسود يتم تسليم مجموعة المراهقين لذويهم ..  
ووقف بعض الأهالي يتفحص ولده المراهق غير مصدق انه خرج  
ناجيا .. كانت ملامح الأب وولده تتم عن اصل شرقي ... كان الابن  
يرمق من حوله بنظرة شاردة .. كمن يفيق من تأثير مخدر قوى ...  
للضابط الكبير توجه الأب ذو الملامح الشرقية :  
- هل قبضتم على هؤلاء الملاعين ...؟  
ابتلع الضابط ريقه وهو يتحاشى نظرات الأب قائلا :  
- للأسف .. لم يعد لهم وجود ...  
- كيف استطاعوا الفرار من جيش الحلفاء الذى دخلتم به الكهف ..؟  
- الكهف يمكنه ابتلاع جيش الحلفاء بالفعل .. دون أن يبقى له اثر...

قالها الضابط وهو يداعب شاربه الخشن ثم القى نظرة عابرة على الكهف وعاد ببصره إلى الأب الذى بدا عليه الاستياء مستطرداً :  
- لكنهم لن يفلتوا .. تأكد من ذلك ... فقط حاول أن تختار طبيب نفسى جيد لولدك ..

احتضن الأب ولده الذى انكمش في حضنه وقال :

- ماذا يمكن أن يصنع هؤلاء مع مجموعة من المراهقين ...  
- الجماعات الدينية السرية لا احد يمكنه استنتاج انحرافاتهم المزاجية خصوصاً مع مراهقين لم يبلغوا بعد سن الشباب الناضج ... الولايات تكتظ بهم .. ولا يمكننا أن نتدخل إلا مع أول بادرة لمخالفة القانون ..  
امتقع وجه الأب وهو يعتصر جسد ولده ويتخيل ما أراد الضابط أن يوحيه إليه ...

وراقب الضابط الأب وولده وهم يتجهون إلى سيارات الشرطة الإضافية التي حملت أهالي الصبية إلى الكهف بعد أن أصر بعضهم على ذلك ..

وجاء احد معاوني الضابط الزنجي ليهمس في أذن قائده الأبنوسية :  
- كل شيء نظيف يا سيدى ...

نظر إليه الضابط الزنجي نظرة خاوية ثم جذب نفساً عميقاً من هواء الفجر النقي هواء الفجر الذى يدغدغ رئتيه التي أنهكتها أصناف التبغ العديدة التي يدخلها ليل نهار .. ولم يستقر بعد على نوع بعينه ...  
فقرر في النهاية الإقلاع عن التدخين بالكلية ...

وشعر بتلك الوخزات في صدره تؤلمه حقا .. وخزات الضمير التي  
لا ترحمك..

وخزات الضمير .. وذكرى مشهد لا يمكن وصفه سيطارد منامه  
إلى أن ينام النومة الأبدية ...

\*\*\*

## 2

قال لي حمدي ونحن في المطار :

- ثلاثة اشهر متابعة مع الطبيب النفسي وفى النهاية اعلن الطبيب أن باسم بحالة جيدة .. لكنني لم اقتنع .. كذلك أختك سهام .. ما الذى يضمن لنا انه

لن ينضم لجماعة أخرى .. كان لابد لنا من تحصينه ضد تلك الانحرافات .. قررنا أنه لابد أن يبتعد قليلا عن جو الحرية المفرطة الذى نحياه هناك .. ويأتي إلى هنا .. حيث الجو العام المحافظ ..

نظرت بإشفاق إلى باسم الذى كان يحاول أن يتذكرني بصعوبة .. فتى يافع وقع ضحية لبعض أصحاب الهوس الوثني .. قلت لحمدي :

- كل هذه الأحداث .. وأنا آخر من يعلم ...؟

- ليت الموضوع ظل طي الكتمان .. لولا الضرورة .. لما علم أحد من العائلة في مصر بشيء مما حكيت لك .. ما حكيت لك سيظل طي الكتمان نحن لسنا في أمريكا .. في مصر .. لن يقبل أحدا فكرة انضمام ولدك

إلى جماعة دينية سرية .. هذا هو ما تسمونه في مصر بالفضيحة بالمعنى الحرفي للكلمة ...

- باسم سيكون في بيته .. وعلواء ستفرح به كثيرا ..

كنت اكذب بالطبع .. لكنه هز رأسه في تفهم بمعنى (هذا هو العشم) نظرت إلى باسم راسما على وجهي اشنع تعبيرات السعادة قائلا :  
- ستضيء منزل خالك يا باسم ..

نظر لي نظرة غير مريحة فتجمدت ابتسامتي .. (شيء ما ليس مريحا في عيني ذلك الصبي) ثم إنه أشاح بوجهه عني قائلا شيئا ما بالإنجليزية التي دهسها التأمرك ..  
فوكزه حمدي في كتفه بخشونة قائلا :

- هذا خالك .. ونحن لسنا بالولايات ..

حاولت أن الطف الجو قائلا لحمدي :

- رويدك .. هو لم يعتاد على طباعنا بعد .. كما انه لا يتذكرني ..  
لقد سافرتم به صغيرا جدا .. هل لديه مشاكل مع اللغة العربية ..؟  
هنا فوجئت به - أي باسم - يقول لي في سماجة :  
- وهل لديك مشاكل مع الإنجليزية ..؟

- مرحى انه يتكلم العربية .. سنصير أصدقاء ..  
وهكذا قمت بوداع زوج أختي المبجل وشكرته على المصيبة التي  
ألقاها على رأسي لتوه ووصيته بتوصيل سلامي إلى سهام وإلى  
رئيس الولايات المتحدة .. وبعد أن انصرف ليلحق بطائرته  
التفت إلى المصيبة التي تدعى باسم .. كان يرمقني في اشمئزاز

..

حقيقة لم اعد اشعر بالشفقة على هذا الوغد المراهق .. وقلت  
لنفسي

تلك هي أمريكا تجسدت في ذلك الصبي الوقح .. هذا الصبي  
يصلح لان يكون إرهابيا أو سفاحا .. وليس غريبا أن ينضم حتى  
إلى جماعة دينية تقدر أنثي اليعسوب... كان على أن اصطحب  
هذا الكابوس إلى داري ...

\*\*\*

كميات هائلة من الطعام حضرتها علياء لتليق بابن أختي اللورد  
المبجل ..

وحاولت أن تضع في طبقه الخاص كل ما طالته يدها من على  
المائدة المكتظة بأصناف لم أرها من قبل .. وكانت نظراتها إلى  
تقول ...

( زوجتك بتشرفك ) وكانت نظراتي إليها تقول ( هذا الشرف  
سينسف راتبي الشهري نسفا ).. الغريب أن باسم كان يأكل كأنما لم

يسمع عن اختراع اسمه الأكل من قبل .. غريبة تلك الشراة التي  
يفترس بها الطعام ...

كنت أنا وعلياء قد كففنا عن الأكل وتسمرت أعيننا على ذلك  
الصبي

المعجزة الذى ينسف مائدة الطعام نسفا ..

\*\*\*

لا أدري كم لتر من الدماء.. تسع معدته الضامرة تلك ...

\*\*\*

رفع عينيه إلينا لما شعر أننا كففنا عن الأكل واطلنا إليه النظر ...

وخرجت الكلمات بصعوبة من فمه المليء بالطعام :

- الطعام مهم جدا .. لأمثالنا ..

رتبت علياء على ظهره قائلة في لطف :

- الصبيان في سنه محتاجين إلى الغذاء إنهم في سن التأسيس ...

نظر إليها في ود ادهشني وابتسم قائلا :

- أنت ماهرة في صنع الطعام ..

فقال له في رقة وخجل :

- شكرا يا حبيبي على مجاملتك ...

أما أنا فقد جلست مريحا ذقني على راحتى أتأمل تلك اللحظة

الرومانسية

أتعرفين .. يبدوا إنني تذكرتك الآن .. لم تتغيري كثيرا-

قالها باسم وهو مازال مبتسما ابتسامته السمجة فنظرت إليه في تأثر  
قائلا:

- حكمتك يا رب ...

كانت خطتي كالتالي .. تم تجهيز غرفة خاصة لباسم .. وإخلائها من  
متعلقاتنا.. أثناء النهار سأصطحبه معي إلى العمل ونعود ليلا للمبيت..  
وهكذا نرفع الحرج عن تواجد هذا الطفل (المسترجل) أو الرجل  
(المستطفل).. وحيداً مع زوجتي.. وكان هذا يعنى إنني سأتواجد  
مع هذا الكابوس ليلا ونهارا .. وستستريح منه زوجتي بالنهار ..  
كنت كمن يعاقب نفسه ..

وكنت أعتقد أن هذا هو كل ما ينتظرني ...

وكنت واهما ...

\*\*\*

إنها الواحدة بعد منتصف الليل ....

- منصور ....

- امممم ....

- منصور استيقظ .. هناك أصوات غريبة تنبعث من حجرة باسم ...

فتحت عياني أخيرا في صعوبة وقلت لعلياء التي بدا عليها الذعر  
بصوت لم يفارقه النوم :

- هل هذا تأثير أحد أفلامك ... ؟

- لا اسمع بنفسك ..

حاولت أن أركز.. لا أسمع شيئاً.. أركز مرة أخرى  
لعلى....خخخخخ...

- منصووووووور ..

انتفضت منتبها إلى إنني لم أكن أركز في السماع .. ثم إنني قلت لها  
وأنا أثنائب محاولاً أن أهدئ من روعها :

- علياء إنها الواحدة صباحاً .. حيث تنشط حركة الكائنات السفلية في  
البيوت.. خذي الأمور ببساطة ..

- هل تمزح .. اذهب واطمئن على باسم ...

هكذا وجدتني مضطراً لجر أقدامي جراً متجهاً كالسكارى وأنا  
أتحسس طريقي في الظلام الدامس متجهاً إلى غرفة باسم .. من يقلق  
على شيطان مثله..

واللحظة تجمدت في مكاني ... هل ما سمعته حقيقي ... أم إنني أصبت  
بالعدوى من زوجتي ...

كنت أضع أذني الآن على باب الغرفة .. واسترق السمع ... و شعرت  
بقشعريرة غريبة تتنابني ...

هذا الصوت يشبه صوت خفقان أجنحة طائر ... أم ...

هنا قررت أن افتح الباب .....

\*\*\*

# 3

لم يعد تيد برونسون كما كان ..  
رجل الشرطة المحنك ذو البشرة الأبنوسية .. الكوابيس المتكررة التي  
يستيقظ منها صارخا .. وبعد ثوان يشعر بيد سيسيلي تتحسسه في  
الظلام ..

هذا مجرد كابوس يا تيد .. نتيجة إفراطك في تناول الدجاج المقلّى  
وكعكة سرطان البحر في وجبة العشاء ... فيعود إلى فراشه غارقا في  
العرق والجهد ..

- سيسيلي أنت تكررين نفسك .. أنا لم أكل دجاج مقلّى اليوم ..

فتقول له بعينين نصف مغلقتين :

- لكنك تحلم بالكوابيس كل يوم .. هذا تكرار ممل لو أردت رأيي.....

لم يحك لزوجته شيئا عن تفاصيل الكوابيس التي تهاجمه .. لكننا نعرف جيدا أسبابها ..

هو لم يعد كما كان منذ عاد من كهف الماموث .. ومنذ عاد وهو لا يكل أو يمل في البحث في المصادر المختلفة من كتب أو حتى على شبكة المعلومات الدولية ليعرف إجابة لسؤاله .. ما كنه هذا الشيء الذي رآه في الكهف ...؟

في البداية وجد معلومات عن بعض الجماعات الدينية السرية ولكنه لم يجد معلومات تخص تلك الجماعة بعينها التي اصطدم بها في كهف الماموث ..

هنا قرر أن يبحث بطريقة أخرى ...

دخل على شبكة المعلومات وكتب ( عبدة الخفاش ) وضغط زر الإدخال ..

وانهالت عليه نتائج البحث الفذة ...

طريقة عمل شوربة الخفافيش المخلية ... رابطة الخفاش البمبي ترحب بالزائرين ...

حمل أحدث أفلام الرجل الخفاش ... في النهاية شعر بالإحباط .. لن يجد ضالته أبدا .. ولم يعرف أبدا العلاقة التي تربط شوربة الخفافيش بعبدة الخفافيش .. أها طبعا كلمة خفاش تكررت .. في الموضوعين ...

متى قرر أن يزور العجوز تريان ...؟

\*\*\*

عدة طرقات على الباب الخشبي المزين بزخارف قوطية تذكرك  
بالعهود البائدة .. لأوروبا ما قبل عصر النهضة .. أخيرا شعر بالباب  
يفتح .. كان وجه ترايان العجوز هو أول ما طالعته ...

- من ..؟

ابتسم تيد وهو يفكر في العجوز الأحمق الذى يفتح بابه للغرباء أولا ثم  
يتسأل بعدها في براءة .. من ..؟

قال له بلهجة حاول أن تكون مهذبة ..

- تيد برونسون .. أنا شرطي فلا تقلق ..

- شرطي .. هذا مقلق في حد ذاته ..

- ليست زيارة رسمية .. سمعت أنك تفهم في تلك الأمور .. التي  
تسمونها الأمور الخارقة للطبيعة ...

ابتسم كاشفا عن فم خالي من الأسنان تقريبا .. وقال في ود :

- أها .. زبون .. تفضل إذن ..

في الداخل كان منزل السيد ترايان متواضعا لكنه له ذات النكهة  
القوطية التي تذكرك بزمان حرق الساحرات في أوروبا .. عدة لوحات  
لأشخاص يرتدون خوذات صليبية ويقتلون تنانين تخرج السنة اللهب  
من أفواهها ..

صورة لفتاة شرسة الملامح لها جناحان والجيد هنا أن نصفها السفلى  
عبارة عن ذيل حية ..

في أمريكا يمكنك أن تجد في كل شيء متخصصين .. حتى القتل ..  
والجريمة تريد متخصص في سرقة البنوك .. ستجد في دليل الهاتف  
العشرات .. تحتاج إلى استشارة فنية في عملية إرهابية .. ستحصل  
على الرجل المناسب فوراً .. كذلك هؤلاء المشعوذون الذين قاموا  
بتهديب انفسهم قليلاً.. تحت اسم.. متخصصو الخوارق الطبيعية..  
ستجد المئات منهم.. وهكذا وجد تيد ضالته...

أشار له العجوز أن أجلس.. فجلس على أحد المقاعد التي ربما جلس  
عليها يوماً ما الكونت دراكيولا نفسه.. كانت صورة الأخت صاحبة  
ذيل الأفعى تقع خلفه على الجدار .. وساوره إحساس طفولي إنها ربما  
وثبت عليه في أي لحظة

وأغمدت مخالبتها في عنقه .. أما العجوز فقد جلس على مقعد مقابل له  
ولاحظ التمثال الغريب إلى جوار مقعد العجوز .. لعلها نفس المرآة  
الحية التي تقع في الصورة الجدارية خلفه لكنها مجسمة .. ذوق فظيع  
...

نظر له العجوز مبتسماً في مكر .. ثم قال بصوته المشروخ :

- أنت لا تؤمن بي ... لكنك بحاجة إلي...

نظر له تيد بمعنى ( جرب ذكائك مع غيري ) .. قال في اقتضاب :

- لدى قصة ..

- ولدى أذان ...

حاول تيد أن يحكى له بسرعة ما جرى له داخل الكهف دون أن يدخل  
بتفاصيل قد يجدها ذلك العجوز المتهالك ذات فائدة عظيمة .. حتى  
وصل إلى الجزء الذى يمثل له الذكرى المؤلمة ..

\*\*\*

وشعر بالدماء تتجمد في عروقه .. والشعر ينتصب حول ساعده ...

\*\*\*

- كانت عيونهم حمراء كالدّم .. وأنيابهم لها بريق كالماس ... وكان  
ضوء الكشافات التي نعملها يؤذيهـم فيطلقون صرخات قادمة من  
الجحيم ذاته .. أصوات لا يمكن أن أنساها .. ثم بدأت تتصاعد  
أبخرة من أجسامهم وبدأوا  
في التساقط .. ولما كشفنا عنهم العباءات.. لم نجد إلا رمادا..  
الجميع ..

تحولوا إلى رماد ..

توقف تيد عن الحديث لينظر مدى تأثير كلامه على العجوز  
ترايان ..

اطرق ترايان إلى الأرض قليلا..

ثم رفع وجهه إلى تيد... ليفجر في وجهه قنبلة :

- للأسف يا سيد تيد ..لم يتحول الجميع إلى رماد هناك واحدا منهم  
نجا .. وسقط من حساباتك ..

\*\*\*

يقترب احد أصحاب العباءات السوداء صغيري الحجم من كتل  
الخفافيش لكن بحذر.

\*\*\*

وأكمل ترايان :

- واحدا من الصبية .. كان هو المختار ...

\*\*\*

يجثو على ركبتيه.. كأنما يناشدها .. يبدو انه يكلمها .. ويبدو إنها  
تفهمه ...

\*\*\*

- ويبدو أنه نجح ...

\*\*\*

إذ سرعان ما انفصلت بعض تلك الكائنات البشعة .. وحطت على  
عائقه ...

بعدها انهالت عليه اسراب الخفافيش ...

\*\*\*

- إلى حد ما ....

\*\*\*

- شرطة .. تجمدوا مكانكم ...

\*\*\*

انتفض تيد في مقعده عند هذا الحد من ذكرياته.. وفي رأسه بدا  
يدق ألف ناقوس للخطر .. أما تريان فقد شاعت على وجهه  
العجوز ابتسامة

المنتصر .. ثم قال في بطئ :

- لقد أضعت عمري في تلك الأشياء .. أنت تتحدث الآن مع  
الشخص الخبير

تلك الجماعة لم تكن نهايتها إنها تقدر الخفافيش يا صديقي ..  
إنهم يتحولون مع الوقت إلى خفافيش حقيقة .. لكن أدمية ..  
بمصطلح

آخر أشهر .. مصاصو دماء ... هذا الصبي نصف مصاص  
دماء والنصف الآخر يوشك أن يلتحم مع نصفه الشرير .. لذا لم  
يتأثر بالضوء كما حدث لمصاصو الدماء الأخرى .. وعلينا أن  
نتدخل قبل أن يتم التحول ..

- لو لم أرى ما رأيت لا تهتمك بالخرف ...

- وأنت إن لم تتذكر أي الفتية كان هو الموعود .. فستكون سببا  
في مولد الشر .. بعد أن كاد يقضى عليه في كهف الماموث ..

\*\*\*

كانت ملامح الأب وولده تتم عن اصل شرقي ...  
كان الابن يرمق من حوله بنظرة شاردة ..

\*\*\*

- وماذا سنصنع معه .. وتد خشبي في الصدر ..
- لا تصدق كل ما تسمعه في القصص المحرفة ...
- ثم استطرد وهو يبتلع ريقه الذي جف :
- الواقع قد يكون اشد قسوة وبشاعة مما تتخيل ...

\*\*\*

# 4

دار مقبض الباب في يدي.. ولا ادري لماذا أحسست بتلك  
القشعريرة تجتاحني .. شيء ما يهتف بداخلي .. لا تدخل الآن ..  
ثم شعرت بعدها بسخافة موقفي ..  
وهكذا دفعت الباب .. بلا تردد ... لكن ببطء.. وعلى ضوء القمر  
المتسلل إلى الحجرة رأيتَه .. كان واقفا بالقرب من النافذة وظهره  
كان في مواجهتي .. و الهواء يداعب  
منامته .. أما مصدر الصوت الذي أزعجني فكان شيء ما يطلق  
في سقف الحجرة .. شيء أسود مقرز .. شيء لا يمكنني تخيل  
وجوده في شفتي المتواضعة ..

شيء يكلمه باسم بلغة غريبه لا تبدو كسائر اللغات وهو يمد إليه  
يده

كأنما يتوسل إليه .. شيء قرر أخيرا أن يستجيب  
ويحط على كف باسم الممدودة ...  
خفاش في شفتي !!

ودون تردد مددت يدي إلى مفتاح الكهرباء...

\*\*\*

هنا سطعت الأضواء المبهرة في المكان ... وتعالى صوت الخفافيش  
المنزعجة

من الإضاءة المفاجئة وهي تولي هاربة .. وتعالص أصوات أخرى  
حيوانيه تحتج على إزعاجها ..

\*\*\*

بالفعل رأيت الخفاش يخلق مبتعدا وقد أزعجته الأضواء  
... صوت خفقان أجنحته يتردد حتى بعد أن غاب عن الأنظار ...  
أما باسم التعس فكان لا يكف عن الصياح  
بتلك اللغة الغريبة .. وبدا كأنه يستجدي الطائر المقزز حتى يعود  
..

هنا قررت أن أتدخل لأنهى تلك المهزلة .. جريت ناحيته وأمسكته  
بكلتا يدي وهو لا يكف عن الانتفاض والصراخ .. تبا سيوقظ هذا  
الجيران ...

- باسم أهدئ ..

كان يحاول التملص منى ووجدت مشقة في السيطرة عليه ..  
وجاءت علياء فزعة

وهي تبسمل وتحوقل .. نظرت إليها قائلاً بسرعة :

- لا تقلقي .. انه كابوس عادى ..

- سأحضر له كوب من الماء ...

كانت حركته قد بدأت تهدأ و قواه تخور .. كنت أضمه إلى في  
محاولة لكبح جماحه ..

وسمعت صوت نشيجه المكتوم .. وعادت علياء حامله كوب من  
الماء البارد

بعد عدة رشفات من الماء .. رأيته ينظر إلى بنظرة زائغة .. ثم  
تكلم أخيراً بالعربية :

- أنا خائف .. لا تتركوني وحيدا ....

تبادلت أنا وعلياء النظرات المتفهمة ..

- سأنام الليلة إلى جواره ..

حملت علياء كوب الماء وغادرت الحجرة

كنت أعلم أنها لن تستطيع أن تنام ليلتها وأنا لست بجوارها ..  
لكنني كنت مضطر ..

ساعدت الفتى على النهوض إلى فراشه كان يقبض على يدي  
وكأنما يخشى أن اتركه .. كل هذا كان يدعوا إلى الشفقة .. لكنني

لم استطع قط ابتلاع كل ما رأيت .. ولم ادري حقا .. هل أنا خائف  
على هذا الفتى التعس ..  
أم إنني خائف منه .. وبشدة ...

\*\*\*

في الصباح لم نتبادل الكثير من الكلام .. كيف حالك اليوم .. بخير

..

هذا خبر سار .. الخ .. تناولنا الإفطار في تودة .. ولاحظت عينا  
علياء المنفختين .. هي لم تنم كما توقعت .. تبدو متوعكة قليلاً ..  
لقد بدأت تدفع جزء من ضرائبي

العائلية .. وشعرت نحوها بالإشفاق .. ماذا لو حكيت لها ما رأيت  
أمس

أنا نفسى بدأت أشعر أن ما حدث أمس شيء ضبابي مشوش ..  
وبدأت أشك في حدوثه أصلاً ..

طلبت منها استشارة الطبيبة التي تتابع معها لعل هناك جديد  
فأومأت برأسها في إرهاق وهي تعبت في طبقتها بقطعة الخبز ولا  
تأكل تقريباً ... باسم الوغد تناول إفطاره وإفطارنا معا كالعادة ..  
وكانما لم يحدث شيء .. هذا الفتى شهيته بدأت تقتلنا جوعاً ..  
وهكذا انتهى الإفطار وقمت باصطحاب الفتى معي إلى العمل  
حسب ما تقرر ..

في سيارتي حاولت أن أفاتحه في الموضوع .. لكن دون مجاملات

..

- باسم .. هل ما زلت تمارس تلك الطقوس الوثنية ..

- أي طقوس ..؟

قالها في براءة أزعجتني.. هذا الفتى إما أنه أبله أو داهية ماكر..

قلت له من بين أسناني :

- لقد رأيت جيدا ما حدث أمس.. فلا داعى لمراوغة خالك الطيب

..

- أنا فعلا لا أذكر شيء معين بالأمس .. سوى ذلك الكابوس ...

تبا .. هل كان الفتى يعانى من مرض السير أثناء النوم .. وانا

ظننته مستيقظا واعيا لما يفعل .. هنا تذكرت أمر ذلك الخفاش ..

على الأقل أنا أعرف إنني لم أكن أحلم..

هنا صارحته بكل ما رأيت أمس حتى وصلت إلى ذكر ذلك

الخفاش .. ففوجئت به يضطرب .. ثم بدا عليه الرعب وهو يردد :

- خفافيش مرة أخرى .. إنهم لن يتركونني وشأني .. كنت اعلم ذلك ..

تفاديت سيارة قادمة من اتجاه معاكس وانا أقول له في دهشة :

- لحظة.. من هم .. الذين لن يتركوك وشأنك ... ؟

هنا فوجئت به ينتزع حزام الأمان وهو يصرخ :

- لا بد أن ينتهى هذا العذاب ..

وبيده الأخرى فتح باب السيارة وهو يدفع جسده محاولا الخروج

..

بمعنى آخر .. محاولا الانتحار ...

\*\*\*

أنا أكره هؤلاء الذين يقررون الانتحار فجأة وخصوصا  
عندما يقررون الانتحار من داخل سيارتي .. لابد أنكم تتفهمون  
ذلك ..

ضغطت على مكباح السيارة بكل قوتي وسمعت صرير الإطارات  
والمحرك المتهالك يئن في الم .. في نفس الوقت الذى كانت يدي  
اليمنى تقبض على كاحل باسم الذى صار نصفه تقريبا خارج  
السيارة ..

أبواق السيارات تدوى من حولي لحركتي المفاجئة التي اربكت  
سير المرور .. لكنهم قدروا الموقف من مشهد باسم ابن أختي  
وهو يحاول التملص من قبضتي .

- دعني .. دعني ..

كانت السيارة قد توقفت أخيرا .. فتركت المقود تماما وقبضت  
على كاحل

الفتى بكلتا يدي .. أجره إلى وأنا أضغط على أسناني من الغيظ :

- تعال هنا ...

هنا تذكر باسم أن قدمه الأخرى محررة .. وسرعان ما تلقيت  
ركلة عاتيه في وجهي جعلني اضطر لإفلات قدمه الأخرى وأنا  
اطلق السباب .. كنت أتحمس وجهي وشعر بالألم من أثر الركلة  
.. ثم تذكرت إنني تركت الفتى .. يا ويلي ...

كان قد غادر السيارة .. ورأيته يعدو تجاه العربات المسرعة ..  
كان مازال متحمساً لفكرة الانتحار ..

لم أدرى كيف غادرت السيارة .. ولا كيف قطعت المسافة التي  
تفصل بيني وبينه ..

بدأت بعض السيارات تتوقف .. ويطل أصحابها برؤوسهم في  
فضول ...

أخيراً وصلت إليه .. وبكل قوتي دفعته تجاه الرصيف .. فقط  
لاكتشف إنني صرت وحيداً في مواجهة العربات القادمة وأبواقها  
تصم أذناي ..

سيارة قادمة لم يكن يفصلني عنها إلا أمتار لا تكفي لي لا تحرك في  
أي اتجاه ..

وأغضت عيناي وأنا اسمع صرير محرك السيارة .. وسباب  
السائق وهو يحاول السيطرة عليها وشعرت بضغط الهواء الذي  
تشقه السيارة يلفح وجهي .. وعندما فتحت عيناي .. علمت إنني  
نجوت .. كان قائد السيارة محترفاً .. لقد استطاع أن يتفادني ومر  
بجانبي وهو لا يكف عن سبى ...

وهكذا القيت جسدي على الرصيف إلى جوار باسم الذى انفجر في  
بكاء هستيري

.. وتقدم بعض المارة في محاولة لمساعدتي لكنني شكرتهم ..  
وقلت لهم انه لم يحدث شيء .. فقط ابن أختي حاول الانتحار ..  
وكاد أن يتسبب في قتلى ..

انصرفوا راشدين من فضلكم ..

مرت لحظات عديدة وأنا أنظر إلى باسم .. وهو يبكي .. وحاولت  
أن أتمالك أعصابي

حتى لا انفجر فيه في أي لحظة كنت أحاول أن الملم شتات  
نفسى .. حتى اهدأ واتخذ القرار السليم تجاه ذلك الفتى ....  
ذلك الفتى الذى تحول إلى لغز كبير ... أقترح على حياتي .. وكان  
لا بد أن أفهم ...

\*\*\*

نظرت إليه وهو يرشف عصير الليمون الذى طلبته له لثالث مرة  
.. كنا جالسين على أحد المقاهي الهادئة نوعا ما .. وانتظرت حتى  
انتهى من كوب العصير الثالث .. جذبت نفسا عميقا .. ثم قلت له  
في هدوء :

- الآن وقد هدأت .. لعلك تدري .. أن هناك أسئلة كثيرة بحاجة إلى  
أن تجيب خالك عليها .. قبل أن يجن جنوني ..  
أطرق إلى الأرض قائلا :

- أنا أسف لما حدث لك بسببي ...  
- قبلت أسفك .. هل يمكنك الآن أن تخبرني .. من هؤلاء الذين  
تخشاهم كأنهم الشياطين ..  
نظر إلى بعينين زائغتين قائلاً :  
- سأحكي لك فقط عدني إنك ستصدقني ...  
- أعدك ...  
تمخط في كم سترته بلا أي حرج قبل أن يقول في بساطة :  
- حسناً اطلب لي بعض الأكل أنا جائع جدا ...  
نظرت إليه في حقد فقال بسرعة :  
- سأحكي وأنا أكل ... اتفقنا ...

\*\*\*

# 5

لم يصدق تيد أنه سيعود إلى ذات المكان الذى كاد أن يفقد فيه عقله من هول ما رأى .. كهف الماموث من جديد يقف فاغرا فاهه كوحش أسطوري ينتظر احمقا ما يقرر الدخول ...

لم يدري كيف اقتنع بما قاله له ذلك العجوز المدعو ترايان .. كانت زيارة قصيرة قام بها رجل الشرطة المنقذ تيد برونسون بصحبة ترايان لزوج أختي العتيد في بيته كانت في بدايتها بمثابة جلسة اعتراف من قبل تيد ..

عفوا يا سيدى لقد اخفينا عليك سر بسيط .. الجماعة الدينية التي انضم إليها ولدك لم تكن جماعة دينية .. وولدك على وشك أن يتحول إلى شيء آخر شرير للغاية .. خطر للغاية .. مخيف للغاية

.. نحن أسفون جدا يا سيد حمدي ..فقط لو تسمح لنا بجلسة صغيرة  
مع ولدك ..

ولم ينس تيد كيف شكرهم حمدي على المعلومات القيمة التي  
أتحفوه بها .. ثم اعلن لهم إنه للأسف ليس لديه الوقت الكافي ليتابع  
مغامرتهم مع مصاصي الدماء وان ولده و يا للأسف ليس موجودا  
في الولايات ولو كان موجودا لما سمح لهم بالاقتراب منه ...  
وهكذا انهوا زيارتهم مطرودين ..لكن العجوز ترايان لم تنضب  
جعبته بعد

كل شيء بدأ في الكهف .. وسينتهي في الكهف .. هذا وعد من  
ترايان خبير الخوارق الطبيعية .. هناك يمكننا أن نجد خيطا ما قد  
يوصلنا إلى .. إلى ماذا .. هذا ما سوف يجيب عليه كهف الماموث  
...

\*\*\*

كل شيء جاهز للطوارئ .. كشافات .. حبال غليظة .. ولا بأس  
من وجود بلطه قوية تشبه بلطه الشروكي .. بعض الطعام  
والشراب المعبى يعلم الله كم سيقون بالداخل .. أما تيد فلم ينس  
أن يحشو مسدسه ويحتفظ معه بعدة خزانات إضافية للطلقات ..  
وجود تيد إلى جوار ترايان سهل الكثير من الصعاب التي  
كانت ستقابلهم من قبل رجال الأمن الذين يحرسون الكهف .. لا  
ننسى أن الكهف يعد من أهم المزارات السياحية في كنتاكي

..يكفى أن يبرز تيد هويته معلناً لهم أن هذا عمل خاص بالشرطة.. فتكون تلك هي كلمة السر السحرية للدخول إلى الكهف .. إلى الأماكن التي لا يصل إليها السائحون .. كما إنهم زودهم بأجهزة لاسلكية حتى لا تنقطع صلتهم العالم الخارجي في أعماق الكهف ..

كل شيء جاهز ... أذن فلندخل الكهف ..

في البداية كان الولوج سهلاً مروراً بالمناظر الطبيعية الخلابة داخل الكهف ..

كانت مرحلة سياحية لا بأس بها.. إلى أن انتهى المزاح عندما بدأت المعالم الخلابة تتلاشى ويحل محلها مشاهد أخرى مقبضة .. تعاريج وبتوءات تشبه الأنياب ثم بدأت الصعوبة في السير بفعل التكوينات الصخرية التي تجعلك تضطر إلى الانحناء تارة .. والى الزحف تارة أخرى العجوز ترايان قليل الحجم اثبت كفاءة غير عادية كان يتحرك داخل الكهف كما لو كان في بيته... يبدوا انه الحماس الشديد أما تيد بقامته الفارعة وعضلاته المقتولة فيمكنك أن تتخيل مدى المعاناة التي كان يلاقيها أثناء السير .. لماذا قرر ترايان السير من تلك الطرق المتعرجة الضيقة .. هناك طرق أوسع قاد من خلالها تيد جيش رجال الشرطة ليتمكن من إنقاذ الصبية المراهقين من قبل ..

- ترايان لماذا اخترت ذلك الطريق ..؟

توقف ترايان عن الزحف ثم قال بصوت كالفحيح :

- اعتمد على.. بما انى الخبير .. فأنا القائد بالتبعية ..

- تبا لخبرتك .. تبذوا وكأنك ولدت في ذلك الكهف ..

أكمل ترايان الزحف وهو يهمس :

- لقد اقتربنا ..

كان الطريق قد بدأ في الأتساع مرة أخرى .. ونظر تيد إلى الجدران لا توجد نتوءات وتعاريج كالسابق .. هنا أتضح الأمر كان هذا هو نفس المكان الذى كانت تمارس فيه الطقوس لكنهم جاءوه من اتجاه آخر ..

وعادت الذكريات الأليمة إلى ذاكرة تيد .. للحظات بدا ترايان مبهورا بالمكان .. ودون كلمة انتزع الكشف من يد تيد وضمه إلى كشفه ثم قربهم من أحد الجدر :

- انظر يا سيد تيد .. هل ترى تلك الرسومات على الجدار ..

بالفعل كانت هناك رسومات لكائن خرافي له رأس تشبه رأس الماعز وجسد قريب إلى الأجساد الأدمية .. وكان هناك كلام كثير منقوش بلغة غريبة للغاية .. اقرب لطلاسم السحر الأسود .. وحوله كان رسم لعدد لا بأس به من الخفافيش .. قال تيد في دهشة:

- لم نلاحظ تلك الرسومات في المرة السابقة ..

ابتسم ترايان قائلا :

- لكنها لا تخفى على عين خبير مثلى .. كان همكم تنظيف المكان  
من اثر الأخوة الذين رحلوا ..

كلمة أخوة بدت غريبة على أذن تيد .. لكنه لم يشغل باله  
بمصطلحات العجوز المهووس ..

قال له مشيرا إلى تلك التصاوير :

- هل استنتجت شيئا بخصوص تلك الصور ..

- تلك الصور ..

قالها ترايان وبرقت عيناه ببريق غير مريح على الإطلاق :

- إنها تمثل صور السيد .. الذى يحكم الجانب الآخر جانب الظلام  
.. وهذه الطلاسم هي

كلمة السر لمروره إلى عالمكم ..

- تقصد مصاصو الدماء ..

- إنه السيد أبيها الأحمق ...

توتر تيد من أسلوب ترايان المفاجئ .. هذا العجوز يبدا وكأنما  
أصابه هوس ما .. المسألة ليست مسألة خبرة ..

- ترايان .. لن أسمح لك ...

قاطع ترايان وكأنه لم يسمع اعتراضه :

- مصاصو الدماء .. كانت فكرة سخيفة منذ البداية.. الطقوس كان

يقوم بها

الخدم حتى يعبر السيد بسلام من الجحيم إلى عالمكم ..

- وما علاقة الفتیان بمقدم السيد هذا ...

هنا نظر إليه ترايان ...

ثم شاعت على وجهه ابتسامة مخيفة وهو يقول :

- السيد حينما يصل وحتى تكتمل قواه .. يحتاج إلى الشراب وإلى

الطعام شرابه الدم .. وطعامه اللحم ....

شعر تيد بالغثيان حينما تخيل المشهد .. ثم إنه صاح غير مصدق :

- هذا جنون .. ما تقوله مجرد هوس .. لا ادري كيف صدقتك

وجئت معك إلى هنا ...

- أنت شاهدت الخدم بعينيك .. وهم يقدمون الطعام القربان إلى

السيد ..

قال تيد في تقزز :

- الصبية كانوا مجرد طعام لل ... لهذا السيد ...

- صبي واحد فقط يقع عليه الاختيار .. وكان ذاك الصبي هو

المختار .. لكنك عرقلت المسير .. والسيد غاضب .. لأنه لم

يحصل على القربان .

أشار تيد إلى الخفافيش المرسومة على الجدار متسائلا :

- وما دور الخفافيش ..؟

قال العجوز الذي يعرف الكثير :

- الخفافيش هي بمثابة الحمام الزاجل بالنسبة للسيد .. فيها تصل  
مراسيمه إلى عالمكم ..

عالمكم .. تلك الكلمة كررها ترايان .. عدة مرات .. هل هو سبق  
لسان أم ...

كان تيد يحدق الآن في وجه ترايان العجوز والأفكار تتصارع  
داخل رأسه ..

هناك شيء ما خطأ .. شيء ما ليس مريحا في كل هذا ... ولم يكن  
تيد ذكيا بما يكفي ليفهم ...

هنا ساد الظلام فجأة .. لقد أغلق ترايان الكشافان .. وسرت رعدة  
في جسد تيد ..

- تبا ... ترايان لماذا أغلقت الكشافات ..؟

كان الظلام دامسا .. لكنه استطاع رغم الظلمة أن يرى ...

- ترايان ماذا دهى عينيك ...

هنا بدأ الأحمق يفهم ....

\*\*\*

لماذا قرر ترايان السير من

تلك الطرق المتعرجة الضيقة

\*\*\*

العجوز ترايان قليل الحجم أثبت كفاءة غير عادية كان يتحرك

داخل الكهف كما لو كان في بيته..

\*\*\*

كان همكم تنظيف المكان من اثر  
الأخوة الذين رحلوا ..

\*\*\*

ودون كلمة انتزع الكشاف من يد تيد وضمه إلى كشافه..

\*\*\*

لكنك عرقلت المسير .. والسيد غاضب ..

\*\*\*

- أنا انتقام السيد ... ممن عرقل عبوره إلى عالم البشر ..  
تراجع تيد في رعب وهو ينظر في الظلام إلى زوج من العيون  
الحمراء ..

- لقد ساعدتني في معرفة مكان القربان .. الفتى المختار .. وجئت  
معي إلى هنا بإرادتك ...

كانت هناك فرجة جانبية حشر فيها تيد جسده في محاولة يائسة  
للفرار من ذلك الكابوس فقط ليكتشف إنه يحدق في جثة تم تعليقها  
على الجدار كالذبيحة ..

وادرك على الفور رغم قلة الإضاءة .. أنها جثة معاونه الذى كان  
معه في ذلك اليوم المشؤم .. لا داعى لوصف حالة الجثة .. فقط  
ادرك تيد أن هناك العديد من الجثث المعلقة لرجال الشرطة الذين  
شاركوه دخول الكهف أول مرة ..

لقد تم استدراج الجميع .. وكان هو آخرهم ...كان المشهد أصعب  
مما تتحمله

أي أعصاب .. حتى ولو كانت لشرطي مثل تيد ...  
لذا فقد خائنه قدماءه .. وخر على ركبتيه وهو يتأمل جنث زملائه  
المعلقة ..

ولاح له الكابوس يقترب ...ويسد عليه الفرجة التي دخل منها ...  
لم يعد هناك ترايان .. فقط كابوس حي يتحرك ناحيته بتؤدة  
وصوت قادم من الجحيم يلفح أذنيه كالنار ...  
- أنت جننتني بقدميك .. لكن بإيحاء منى .. لتتحقق فيك رغبة  
الانتقام ...

كان بإمكان تيد في الظروف العادية أن يخرج سلاحه ..  
كان بإمكانه أن يعدوا هاربا ...  
كان بإمكانه أن يصرخ مستغيثا ....  
لكن ...

فقدان الوعي في تلك اللحظات يكون بمثابة رصاصة الرحمة التي  
تنطلق قبل أن .....

\*\*\*

# 6

رشفتم آخر رشفة من كوب القهوة الثالث لي على ذلك المقهى الذى صرت أكرهه تماما .. وانتهى باسم من قصته ومن التهام نصف دجاجة مع بعض السلطات .. لم اذهب إلى العمل .. وخسرت وقتا ومالا وجهدا ..

وكدت أفقد حياتي تحت عجلات سيارة .. كل هذا في النهاية ينتهى بتلك القصة التي تليق بخزعلات رفعت إسماعيل التي تحب زوجتي قراءتها قبل النوم ... وفكرت وأنا أتأمل باسم الفتى اليناع البريء .. هل أقوم بخنقه الآن أم أنتظر حتى نعود إلى البيت وعندما يسود الظلام أقو.....

- هاى .. أين ذهبت ..؟ لم اسمع رأيك فيما حكيت ..؟

انتزعتني عبارته من أفكاري السوداء التي اعرف مسبقا إنني لن  
انفذ حرفا منها

هي مجرد تنفيس داخلي عن شحنة الحقد الذي صرت أحمله في  
صدري لهذا الوغد الصغير... نظرت إليه نظرة خاوية .. ثم  
فركت عينائي في إنهاك قائلا :

- حسناً تزعم أنك تأكل بشراهرة كنوع من التسمين .. حتى تصير  
وجبة دسمة لسي السيد القادم من الجحيم ..

تقلص وجهه كناية عن عدم الفهم لأسلوبي قائلا :

- لا افهم ما تعنيه بسي السيد .. إنما أقصد إنه الإيحاء .. هو  
يوحى إلي بذلك ..

هنا قلت له بحدة وقد بدأت أعصابي تفلت :

- دعك من مصطلحاتي الشخصية .. فأنا نشأت في مجتمع  
يصاب أفراده بالرعب عندما يسمع حكايات أمنا الغولة .. وأبو  
خطوة .. وهذا في الصغر طبعاً ..

ثم لما تكبر نصاب بالرعب من أشياء أخرى .. مثل رعب  
الثانوية العامة أو رعب غلاء الأسعار .. كلمني عن هذه الأشياء  
استطيع أن أتجاوب معك لكن لا تحدثني من فضلك عن سيدك  
هذا الذي يشرب الدماء ويأكل لحوم الأحياء ولا يكف عن  
محاولة العبور إلى عالمنا .. بدعوى انه قادم من الجحيم إلى ماذا

.. إلى جحيم آخر ربما يكون أشنع وافظع من الجحيم الأصلي  
الذى جاء منه ..

انتهيت من خطبتي العصماء وقد بدا الدم يصعد إلى رأسي ..  
فرايته قد أطرق برأسه إلى الأرض .. لا مزيد من البكاء  
أرجوك ..

لكنه لم يبك فقط قال بصوت يائس :

- كنت أعلم أنك لن تصدقني.. لم يصدقني أبى ولم يصدقني  
الطبيب النفسي .. لا فائدة .. أنا مقضي على لا محالة..

- أنت صبي مدلل أكثر من اللازم .. سنعود الآن إلى البيت ..  
هنا هب كمن لدغته حية صائحا :

- لا لن أعود لقد عرف مكاني .. وأرسل إلى حمامه الزاجل ..  
لو عدت إلى البيت .. فأنا ميت ..

نظرت حولي متأملا الجالسين وقد بدأ حوارنا الممتع يجذب  
الانتباه ثم التفت إليه بنظرة زاجرة :

- تبا لك وللحمام الزاجل انتبه لتصرفاتك .. ولا تلفت إلينا  
الانتباه .. ولا تكرر كلامك هذا على مسامعي مرة أخرى ..

هنا حدث ما كنت أخشاه .. قام أحدهم من على مقعد مجاور لنا  
وتقدم من مجلسنا في تودة .. كان من النوع الذى يرتدى بالطو  
طويل على جلباب ازرق غالبا .. تعرفون هذا النوع .. الذى  
قد يصلح معلما للقهوة .. أو تاجر مخدرات .. أو ...

- السلام عليكم ...

رددت عليه السلام وأنا أتأمل ابتسامته الصفراء التي تكشف عن أسنانه النخرة ..

فأشار بكفه تجاهنا قائلاً :

- هل تسمح لي بالجلوس معكم .. حديثكم جذب انتباهي ..

قلت له وأنا أبتسم في ود أحاول أن أدارى به غيظي :

- كنت أتمنى والله .. كنا سننصرف حالا ..

- يمكنك أن تضحى ببعض الوقت من اجل ابنك هذا ...

هنا بدأت أتوتر .. لم يعجبني أسلوبه المتطفل ولا لهجته .. يبدووا

ناعما كالأفعى وكان باسم ينظر إليه بنظرة لم تمر على مرور

الكرام .. نظرة رهبة ...

هنا أفصح الرجل عن هويته .. وقال في بطن وهو يضغط على

حروف كلماته :

- أنا الحاج توفيق .. معالج بالقرآن .. وولدك هذا تبدو عليه

علامات المس ..

ثم أشار بكفه إلى خارج المقهى مستطردا :

- لقد شاهدنا ما حصل .. وأنا قلت من أول وهلة .. هذا الصبي

ممسوس ..

هنا كان لابد لي أن أنهى الموضوع قبل أن يتفاقم وينتهي بنا الحال إلى الديك اليتيم والصفدة المصابة بالإمساك قمت ماذا يدي إلى الحاج توفيق مصافحا إياه وأنا أقول بسرعة:  
- الحقيقة تلك إضافة جيدة .. وأنا أعدك بأنني سأهتم لذلك .. و ..  
الحساب لو سمحت ...

وجاء النادل مسرعا فأنقذته ثمن المشروبات ثم تناولت كف باسم  
الذي لم

يكف عن النظر إلى الحاج توفيق كأنه سائح يقف مبهورا أمام  
تمثال رعمسيس

لكن السياح لا ينظرون إلى تمثال رعمسيس بتلك الرهبة  
والخوف ...

هنا اخرج الحاج توفيق ورقة ودسها في يدي وقال وابتسامته  
الصفراء لا تفارق شفثيه :

- عندما تتأكد من أنني لست دجالا أو مشعوذا .. اتصل بي ..  
من أجل ولدك ..

\*\*\*

فكرت وأنا أقود السيارة عائدا إلى البيت أن أخرج الورقة التي  
بها هاتف الحاج توفيق والقيها من نافذة السيارة ... لكنني .. ولا  
ادري لماذا ..

صرت أفكر أكثر بكثير من أن أعمل بما أفكر .. ورقة بريئة  
فيها

هاتف وعنوان الحاج الطيب توفيق .. مجرد معالج بالقرآن  
..ما الإشكال في هذا ...؟

هل لدى أحدكم مشكلة بخصوص هذا ...؟

\*\*\*

تسألتي علياء عن سبب عودتي مبكراً من العمل فقلت لها وأنا أطلع  
حذائي :

- أحسست ببعض الإرهاق ..

بالفعل كان يبدو علي الإرهاق .. فانخدعت بمقالتي سريعاً وبدا عليها  
التأثر لحالي لكنها قالت في أسف :

- لكنني لم انتهى بعد من الغداء لو كنت جائعاً ...

- لا تقلقي أنا ملتزم بميعاد الغداء الأصلي ..

لا يجب أن أخبرها بشيء .. قصة باسم سر بيني وبين والده .. كما  
إنها لن تسدى لي أية خدمة تجاه مشكلتي فقط ستصاب بالرعب ...  
وأوهام وخيالات النساء لا حدود لها ..

لقد كتب على أن أعيش تلك القصة الغامضة وحدي ..

تركته لتعد الطعام وتوجهت إلى غرفة باسم لأطمئن عليه... كان  
جالسا على طرف الفراش واجماً .. وفي عينيه تلك النظرة التعسة  
.. تلك النظرة التي تراها في عين

خروف العيد حينما يلح شفرة الجزار التي تم شحذها بعناية فائقة  
... شعرت بسعادة لحظية حينما فكرت أن حالته تلك ستؤثر حتما

على شهيته .. وربما امتنع عن الطعام

بالكلية .. من يدرى .. جلست جاره وربت كتفه قائلاً في هدوء :

- لعلى انفعلت عليك اليوم .. لكن لك أن تتصور كل ما عايناه

اليوم .. كفيل بإخراج

تشرتشل عن هدوئه ...

هز راسه بلا معنى ثم عاد إلى وجومه .. بدا لي أن حالته تتدهور

منذ عدنا إلى المنزل .. مزيج من اليأس والبؤس مضاف اليهم

الخرس التام.. وسرحت بخواطري بعيداً .. شيئاً ما ...

\*\*\*

- لقد شاهدنا ما حصل .. وأنا قلت من أول وهلة .. هذا الصبي

ممسوس..

\*\*\*

- أنا الحاج توفيق .. معالج بالقرآن ..

\*\*\*

- عندما تتأكد من إنني لست دجالاً أو مشعوذاً .. أتصل بي ..

\*\*\*

أخيراً جاءني صوته الناعم عبر الهاتف يتسأل .. قلت له بسرعة

وأنا أحاول خفض صوتي قدر المستطاع :

- أنا والد الطفل الذي قابلته منذ قليل على مقهى .....

قاطعني الصوت في حبور :

- مرحباً .. يبدو أن الحالة تدهورت...

قلت في حق :

- بالتأكيد لو كان هذا يسعدك ...

- لا وقت لإساءة الفهم .. خذ العنوان ...

بسرعة دونت العنوان في ورقه وأنا أنهى المكالمة ناظراً تجاه

المطبخ .. علياء بعيدة بما يكفي فلن تسمعي .. كما إنها حينما تقوم

بالطهي يمكنك أن تقوم بتجربة نووية جوارها

فلن تشعر بك ...و..

- من تكلم ؟؟؟؟؟

طارت سماعة الهاتف من يدي وكاد قلبي أن يثب من بين أضلعي

... كانت علياء تقف خلفي حاملة صينية الخضروات .. متى مرت

من جانبي ولم أرها .. هل سمعت شيئاً ..؟ سأعرف حالا ...

قلت في أرتباك مصطنع :

- انه صديق قديم .. ماذا دهاك ...؟

قالت بلهجة متشككة :

- صديق أم صديقة ...

حمدت الله في نفسى .. لقد ذهبت إلى حيث أردت لها .. قلت لها  
وأنا أتحاشى الوقوف في مرمى صينية الخضروات التي تستعد  
الآن لتطير في وجهى :

- ليس هذا وقته .. سأغادر الآن .. عندي موعد .. وسأعود لنتناول  
الغداء سوياً ..

- سبحان الله كنت مرهقا منذ دقائق ..

- و ما زلت مرهقا وجائعا .. لكنني مضطر للانصراف الآن ...و  
سأخذ معي باسم حتى تطمئني .. ما رأيك ..

لن ألقى عشيقتي وأنا أصطحب معي ابن أختي .. اتفقنا ...

قلتها وتوجهت سريعا إلى غرفة النوم .. أين خلعت الحذاء .. هل  
يتذكر أحدكم أخيرا وجدته .. باسم لم يقاوم .. كان مثل الريشة في  
مهب الريح .. وكان هذا يشعرني بالشفقة عليه .. تصوروا هذا ..  
وحيثما هممت بمغادرة المنزل مع باسم استوقفتني علياء عند  
الباب فالتفت إليها راسما على وجهى براءة مزعجة ..

رأيتها تلوح في وجهى بالهاتف المحمول الخاص بي قائلة :

- نسيت هاتفك .. أم أنك لا تريد إزعاجاً من أحد ..؟

تناولته منها بسرعة وأنا أقول :

- حاشا لله ..

- سأتصل بك عندما انتهى من الغداء ...

نظرت إليها مبتسما .. ثم قلت وأنا أضغط على حروف كلماتي :

- تأكدي أن مكالمتك ستنتقذ حياتي ..  
نظرت لي في دهشة.. فاستدركت قائلا :  
- لأنني سأموت جو عا لو لم تفعليها ...  
وهكذا غادرت مع باسم المنزل .. وأغلقت الباب خلفي ..  
ولا ادرى لماذا خالجنى أحساس سمج .. بأنني لن أرى علياء مرة  
أخرى ولن استمتع بالغداء معها ... لكنني صرفت ذلك الإحساس  
عن صدري ..  
سأعود إلى دارى سالما أن شاء الله .. ولن يحدث شيء ...  
أنا لست ذاهبا للقاء الشيطان ... انه الحاج توفيق .. مجرد رجل  
يعالج بالقرآن ...  
ألستم معي في هذا؟! ...

\*\*\*

لماذا يسكن الحاج توفيق بجوار المقابر ..؟  
 لم اكن رائق الببال بما يكفي كي احلل سلوكيات الرجل ...  
 كنت أقود السيارة .. والهواء المنعش تداعب نسماته وجهي  
 المرهق ... باسم كان يتأمل الطريق شاردا كعدى به ..  
 وما زاد الطين بلة .. خيط اللعاب الذى بدا ينسال من فمه  
 المفتوح لا إراديا ... اضغط بقدمي على دواسة الوقود .. اسرع .. اسرع  
 ..

شواهد القبور بدأت تلوح من بعيد .. وقرص الشمس  
 يستعد للمغيب بعد يوم عمل شاق ...  
 لم يعد الوقت في صالحنا أبدا .. سأفقد الفتى قبل أن أصل ...

كانت عيني تبحث هنا وهناك على لافته ما من لافتات  
القبور .... وخشيت أن تتداخل اللافتات فتوقفت وترجلت  
كان هناك أحد الأحواش جلس أمامه حفنة من الأوغاد حول النار ..  
لماذا أوغاد؟.. طبعاً رائحة الحشيش كانت تفعم الجو ...  
رأيتهم يتركون تدخين النرجيلة وينظرون إلى في شك  
صحت وأنا أضع كفي على أنفي :

- أنا المقدم منصور الوحش .. من مكافحة المخدرات يا كلاب ...  
هنا تكهرب الجمع وهبوا واقفين وقد تطوعوا برفع أكفهم عاليا  
في استسلام تام ..  
وصاح كبيرهم في حماس ولفائف الحشيش تتساقط من جيوبه :  
- مرحب يا باشا ..... أي خدمات ..؟  
- نعم .. أريد أن أعرف أين حوش الحاج توفيق ..؟  
قال كبيرهم والدخان يتبع كلماته :  
- ثالث شارع أول حوش شمال .. تفضل معنا يا باشا ....  
- احم .. شكراً.. من حسن حظكم أنني تخصص بانجو فقط..  
وإلا كان لي تصرف آخر معكم .....  
وتركتهم يعودون إلى جلسة الحشيش ودلفت إلى السيارة.. هؤلاء  
موتى أكثر من أصحاب القبور ذاتها ....



.. على حين جلت أنا بوجهي في الحجرة متواضعة الأساس ..  
بعض الآيات القرآنية معلقة هنا وهناك ... شيء غريب ...  
كلما حاولت أن تركز لتقرا أي من الآيات المعلقة على الجدران  
تتوه منك الأحرف وتتداخل .. تبا .. ماذا أصاب عيناى ...  
نظرت إلى باسم ... كان ينظر إلى السقف في ثبات ... وشاعت  
على وجهه ابتسامة مزعجة ... أين ذهبت يا حاج توفيق ...  
هنا رأيت باسم يقهقه وهو يشير إلى شاهد القبر الذي في الحجرة  
تبا ... ماذا دهاك يا أحمق ... ونظرت إلى شاهد القبر حيث يشير  
و.....

ارتطمت عيناى بالاسم الذي يزين الشاهد ....  
الحاج توفيق عبد المولى .....

توترت أعصابى وشعرت بقشعريرة تجتاح عمودى الفقري ...  
لكننى تماكنت أعصابى .. قد يكون هذا توفيق آخر ... تبا لك  
يا باسم .. ألن تكف عن إثارة هلعى .....

- تأخرت عليك ....

استدرت في حدة إلى مصدر الصوت ... كان الحاج توفيق  
واقفا وفي يده المصحف ... (أو ما يبدو كذلك ) وكان يبتسم في  
إشراق  
مستطرداً :

- لقد غابت الشمس .. لنبدأ الرقية .....

أخيرا سمعت شيء مطمئن ... قلت في حماس :

- لو تكرمت .... سيكون من دواعي سروري .....

وهكذا .. اجلس الحاج توفيق الفتى بين يديه .. واخذ يقرأ من المصحف الذي يحمله ... باسم ينظر إليه في ثبات عيناه لا تطرف أبدا.. و ....غريب هذا ... ما هذا الكلام ...

لا أكاد أفهم حرفا مما يقول ... لا بد أنني أصبت بمس ما ...

الغريب هو ذلك الدوار الذي بدأ يكتنفي ...

هنا قطعت تلاوته (إن صح التعبير ) قائلا وشعوري بالدوار يجعل الكلمات تخرج من فمي مترنحة :

- حاج توفيق ... أنا لا فهم شيئا مما تقرأ ....

قال في ضيق لكوني قاطعته :

- لا تقاطعني ... يبدو إنك أنت أيضا ممسوس .....

قلت وأنا أحاول أن أفتح عياني على أتساعهما وقد شعرت أن جفوني تزن أطنانا من .. من ال... من ماذا ..؟ لا أدري ...

- حاج توفيق ... ما ... ما هو اسمك الـ الثاني ....؟

كانت صورته تهتز أمامي... لكنني لمحت نظرتة الثابتة

وهو يغلق الـ... الكتاب الذي يقرأ منه .. قائلا في هدوء :

- اسمي الثاني .. مكتوب عندك علي شاهد القبر .....

\*\*\*

ابتسمت في بله وأنا أشير كالسكارى إلى شاهد القبر :

- نعم نعم ..لاحظت ذلك ... تفضل ..تفضل لن أقاطعك  
مرة أخرى يا ... يا عم الحاج المرحوم ...  
حقيقة لم أعد أدري.. كان المفروض أن أصاب بالرعب  
وأخذ باسم وافر هاربا .. لكن ما الذي حل بي ؟.. خدر لذيذ  
يتسرب

إلى أطرافي ... شيء ما يدعوني إلى .. إلى ماذا ؟  
لا أدري حقا ..  
كانت كلمات الحاج توفيق الذي أتضح منذ قليل إنه مرحوما  
تتسرب إلى داخلي ... كالسحر ... و .....  
متى دلف أول خفاش إلى الحجرة ...؟

\*\*\*

- وما دور الخفافيش ..؟

\*\*\*

- سأحكي لك فقط عدني أنك ستصدقني ...

\*\*\*

- أنت جئتني بقدميك .. لكن بإيحاء مني .. لتتحقق فيك رغبة  
الانتقام ...

\*\*\*

المشهد المريع الذي تكرر سرده كثيرا على مسامعكم ....  
لكنها المرة الأولى التي أراه رأي العين .....

لماذا انقطع التيار الكهربى الواهن ... لماذا ساد الظلام  
فجأة المكان .. فيما عدا جذوتين من لهب احمر مشتعل تتبين فيما  
بعد

انهما عينا الحاج توفيق ... أأ ... أو من كان كذلك ...  
لماذا تكومت إسراب الخفافيش على جسد باسم المستسلم ...  
لثوان تظن إنك تحلم .. كابوس آخر وستقوم صارخاً .. فقط  
لتجد يد علياء الحانية على صدرك تطمئنك ....  
لكنك لا تستيقظ .. وتعرف أن بينك وبين علياء ودفء المنزل  
مفاوز وقفار ...

أنت في عالم آخر .. لا يمت لعالمك بصلة .. أنت!! ... ومن أنت  
!؟ ....

لم يعد هذا ممكناً في ذلك العالم ... تستطيع أن تقول إنك يوليوس  
قيصر

أو حتى دونالد داك .. لم يعد هذا ذو قيمة في ذلك العالم الجحيمي  
..

من جديد تتردد الكلمات ... كلمات لا تمت لعالم البشر بصلة ..

كلمات بلغة نشأت في أصل الجحيم السرمدى ..

لكنك - ويا للهول - تفهمها .....

" أنا الطعام والقربان ... "

" أنا السعيد بمقدم السيد الأبدى .. سيد الديجور.. "

" سيسود الظلام .. العالم الفاني .. وستمحى كلمة النور من قاموس البشر "

من أنت؟ .. لم يعد هذا ذو قيمة في ذلك العالم الجحيمي ..  
في الظلام يمكنك أن ترى جبال.. وسمائها الحمراء بلون الدم ..  
في الظلام يمكنك أن ترى .. مسوخ نياه - مو ... وشياطين  
أو بتنشيم العشرة ....

في الظلام يمكنك أن تشعر.. بالأجنحة التي تخفق وتلامس وجهك  
الذي لم تعد تذكر ملامحه .. ربما هو وجه ريتشارد قلب الأسد ..  
أو وجه مادونا ... لم يعد هذا ذو قيمة .. في ذلك العالم الجحيمي  
.....

تعرف إنها الخفافيش .. تحط رحالها على جسدك المكدود  
الذي لم تعد تدري معالمه ... هل هو جسد ثور ذبيح ...  
أم شجرة مو التي يرضع منها شياطين أو بتنشيم العشرة ..  
لم يعد هذا ذو قيمة في ذلك العالم الجحيمي ...  
المهم أنك تعرف الآن من يحدثك.. تلك الوجوه البشعة التي تحلق  
بجناحين وتتزاحم على جسدك .....

" أنت المختار .. من بين الملايين ... لتكون قربان سيدة الديجور  
.. لقد قررت العبور مع زوجها .. سيد الديجور "  
تزار شياطين أو بتنشيم في حبور للخبر السعيد ...

وتهتز الجبال طرباً .. وتتحدر من قممها شلالات الدم  
الأحمر القاني ... مكونة بركة تفور وتغلي عند قدميك .....  
يا لا سعادتني ... نشوة غامرة ... إنني أخلق في سماء الحمراء  
بلون الدم .. سأكون طعاماً بعد قليل لسيدة الديجور ..  
لقد أعجبت بي سيدة الديجور ... لا بد أن وسامتني هي  
السبب .. لعلي أشبه توم كروز ... أو حتى أحدب نوتردام ..  
لكنني انسى دائما ... أن هذا لم يعد ذو قيمة في ذلك العالم الجحيمي ...  
لم يعكر صفو هذا الجمع السعيد .. سوى ذلك الصوت الكئيب  
مع الأضواء المزجة المنبعثة من جيب سراويلي .....  
الأضواء !!.. تباً .....

\*\*\*

# 8

هنا سطعت الأضواء المبهرة في المكان ... وتعالى صوت  
الخفافيش المنزعجة

\*\*\*

وتعالى أصوات أخرى حيوانيه تحتج على إزعاجها ..

\*\*\*

كان هذا صوت هاتفى المحمول ... يدق في عالم ديجور الأمادين  
...

وعندما أخرجته من سروالي .. مزقت أذني صرخات شياطين  
أو بتنشيم .... واهتزت جبال .... كل هذا الإزعاج سببه

هاتفى المحمول .... لا أنها أضواء هاتفى المحمول تقتل شياطين  
الظلام

وتنفجر الدماء من أرض ..... لكنني وجدت البال الرائق لأرفع  
الهاتف إلى أذني ... وأتسأل في براءة :  
- من ...؟

فجاء صوت الملتاع عبر الأثير .... الصوت الذي ظننت إنني لن  
أسمعه ثانية

صوت ملاك الرحمة في هذا العالم القاسي الدامي ...

- منصورووووووور ... لقد انتهيت من طعام الغداء ..

منصور ! ... أنا منصور! ... إذن هذه علياء ...

نظرت حولي فرأيت في الظلام على ضوء المحمول معالم  
الحجرة التي يسكنها الحاج توفيق .. كان باسم ينشج وينهه على  
حين لمحت جسدا يتلوى على الأرض وكان صاحبه يصرخ :  
- الأضواء .. الأضواء ثانية ..

الآن عاد إلي وعيي كاملا ... وحددت بالضبط ماذا أريد وماذا  
أفعل ..

رفعت الهاتف إلي أذني قائلا في ثبات :

- علياء ... أنا قادم على العشاء ... شكرا على إنقاذك لحياتي

...

وأنهيت المكالمة .. لكنني سلطت أضواء المحمول تجاه الجسد الذي يتلوى أمامي .. خادم السيد الذي أنتحل شخصية الحاج توفيق

..

- كيف تنتهي تلك اللعنة .. تكلم ..

صاح صاحب الجسد والأبخرة تتصاعد من جسده ننتة تثير الغثيان :

- الرحمة .. فقط لو تخلصت من خاتم السيد ..

صحت في غل :

- أين هو خاتم ذلك الوغد ؟

- في ... في أسفل ظهر كل منكما ... الكي بالنار يزيله .. فقط ارحمني ..

تذكرت ... لقد كنت أيضا مدرجا على قائمة طعام السيد وحرمه .. لكن متى وكيف وضعوا خاتمهم ..؟ تبا .... تريد الرحمة يا خادم إبليس .. حسناً ...

على ضوء المحمول رأيت مفتاح الكهرباء الواهنة ... واهنة لكنها ستؤدي الغرض .. وسرعان ما سطعت الأضواء في الحجرة ... ومعها دوت الصرخة المروعة ... لا داعي للنظر تجاه جسد الخادم الآن فالمشهد غير محبب على الإطلاق .. واضح أن الضوء يقتلهم ... وإنهم لا يتمكنون من التجسد مرة أخرى في صور بشرية تقيهم الأضواء القاتلة ...

كل هذا جميل .. جميل .. الآن حان وقت الخطوة الأخيرة ....  
لا بد أن نغادر ذلك المكان ... ونبحث عن يزيل لنا ذلك الخاتم  
الملعون المنقوش في أسفل ظهر كل منا ... تبا .. الأوغاد لم يجدوا  
إلا ذلك الموضع ..  
كان باسم ينظر إلى بعين دامعة ... لكنني لمست فيهما نظرة  
امتنان ....

\*\*\*

مرة أخرى رأيتهم ينتفضون من حول النار وكل منهم يده على  
رأسه  
علامة الاستسلام .... هل تذكرونهم .. جماعة الحشاشين إياهم ....  
- أأمر يا باشا ...  
كنت جالسا في سيارتي وإلى جوارتي باسم لكنني كنت انظر في  
ثبات  
إلى النار  
التي أشعلوها أمامهم ... أخيرا ابتلعت ريقى قبل أن أقول :  
- خدمة أخيرة ....  
قال كبيرهم في حبور ...  
- طلباتك أوامر يا باشا ....  
- عملية كي بسيطة .....

\*\*\*

لكم أن تتخيلوا مذهري المثير للسخرية وأنا أقود السيارة محنيا  
على المقود متحاشيً الاسترخاء على المقعد حتى لا أشعر بالألم

....

وجواري باسم جالس بنفس الطريقة .. وكان لا يكف عن الولولة ..  
أما أنا فكنت أعض شفتي السفلى في ألم وغيظ متحاشيً نظرات  
الريبة التي يحدثنا بها المارة ... أنتم لا تفهمون يا حمقى .. لقد  
قمنا بكي خاتم السيد اللعين بالنار منذ قليل ... لذا لا يمكننا  
الجلوس

الطبيعي ... لأن هذا مؤلم طبعاً .... مجموعة الحشاشين قامت  
بعملها على أكمل وجه ..صحيح إنهم لم يفهموا سر ذلك الوشم  
الغريب  
ومكانه الأغرب ... لكن حالة اللاوعي التي كانوا عليها نفعتنا  
كثيراً ..

أخيراً وصلنا إلى البيت ... وبصعوبة ترجلنا من السيارة ونحن  
نطلق

الآهات والأنات ..

- تَباً .. لا تتحس موضع الكي يا أحمق ...  
- أوف ... مجرد المشي يحدث احتكاك ..خالي هل يمكنك حملي

...

- .....

\*\*\*

لم أتخيل قط أنني سأعود من ديجور الأمادين سالماً وأنني سأقف على باب داري وأضغط على جرس الباب المزعج .. والأعجب والأغرب أن يفتح الباب ... ويطالعك وجه علياء الذي كدت أن تنساه وسط مسوخ نياهمو

أستندت إلى الجدار الملاصق لشقتي وابتسمت في إرهابك...وقلت :

- الحساء ساخن؟....

ابتسمت هي في إشراق ... وقالت :

- لم أكن لأتركك تموت ... جوعاً ....

ودلفنا إلى البيت الدافئ الأمن... أريد أن أعانق الستائر والجدران ...

بالطبع لاحظت علياء مظهرنا المزرى .. ومشيتنا التي توحى بأن شيئاً ما ليس على ما يرام ... كان لديها عشرات الأسئلة وكانت لدي

عشرات الأكاذيب التي ستصدقها .. أفتعتها مثلاً وانا استبدل

ثيابي في غرفتنا إننا قمنا - أنا وباسم - بعمل حجارة وهذا

يفسر لها سر الحركة غير الطبيعية مع الكثير من الألم والآهات فسألنتني في دهشة :

- حجارة!! .. أين؟!..!

- عند الحاج توفيق ... رجل كله بركة ....
- لا لا .. أنا اقصد أين الموضوع ...؟
- في الدور السادس أول شقة يمين ...  
صاحت في غل :
- أقصد موضع الكي في جسدك ....
- وعندما رأيت أنها أوشكت على خنقي من شدة الغيظ .. قلت  
لها في خجل :
- سأخبرك .. فقط عديني ألا تخبري بذلك أحدا ....
- كان عود أحمد .. كما يقال ... فقط كان علينا أن نتناول الغداء  
ونحن واقفون لأن فكرة الجلوس مع وجود الكي أسفل  
الظهر لم تعد محببة إلى النفس ....
- كنا نأكل ونتبادل الدعابات والضحكات .. وتأملت باسم  
للمرة الأولى .. لقد أحببت هذا الفتى حقاً ..لم يعد ذاك الفتى  
الأرعن غريب
- الأطوار .. وتمنيت لو كان لي ولد مثله ... كان يأكل في  
انتظام وهدوء .. لم يعد ذلك النهم الذي كان يفتك بمائدة الطعام  
ونحن مازلنا في التسمية .... لقد زالت اللعنة والحمد لله ....
- هنا حانت مني التفاتة إلى علياء ... عجباً .. لماذا تأكل بتلك  
الشراهة
- العجيبة .. وكأنها .. وكأنها ...لم استطع ترك العنان لأفكاري السوداء

- و تبادللت مع باسم النظرات المتفهمة القلقة  
كان قد لفت انتباهه نفس الشيء .....  
لاحظت علياء نظراتنا المتوجسة .. فقالت بغم ملئ بالطعام :  
- لماذا تنتظرون إلي ..؟  
قلت في توتر :  
- علياء .. أنت تأكلين في شراهة عجيبة ....  
قالت في بساطة وهي تقضم فخذ دجاجة :  
- وما الغريب في هذا ... الطعام مهم جداً .. لأمثالي ...  
صحت أنا وباسم في صوت واحد :  
- أمثااااالك !  
- نعم بالطبع .. فأنا حامل .. مفاجأة، أليس كذلك ..؟  
رباه ! لقد تذكرت .. لقد طلبت منها في الصباح استشارة الطبيبة  
ونسيت كل شيء وانشغلت بباسم .. كان من الممكن ألا أعود  
لأسمع هذا الخبر الذي تنتفض له أوصالي الآن ...  
رباه .. سأصير أباً ...

\*\*\*

كانت تلك قصتي مع باسم ابن أختي المبجل .. أعترف  
أن ذلك الفتى قد غير مجرى حياتي منذ أن دخلها ...  
بالرغم من أنني أشك أحيانا في كل ما مررت به ....  
ولولا أنني رأيت بعيني ما رأيت لما كنت صدقت

حرف واحد من تلك القصة .. ولاعتبرتها محض خرافة .. تبادلته  
كثير من الرسائل مع زوج أختي وشرحت له فيها كل شيء  
متوقفاً منه أن يرسل في  
طلب ولده سريعاً لأنني صرت معنوها ولا أمان للفتى مع خال  
معنوه ..

لكنني فوجئت به يرسل خطاباً غريباً .. حوادث اختفاء غريبة ..  
العشرات من رجال الشرطة الذين شاركوا في اقتحام الكهف  
اختفوا .. وعلى رأسهم قائد الحملة ... وإنه تقام حالياً عمليات  
بحث لانتهائية .. للبحث عن المفقودين .. وهناك تخرصات تقول  
أن هذا عقاب من جماعة دينية تم تنديس أحد أهم طقوسها من قبل  
رجال الشرطة ....

وبعض المهتمين بتلك الأمور الخارقة للطبيعة نصحوا رجال  
الشرطة أن يقوموا بتمشيط الكهف ذاته .. الموضع المدنس من قبل  
الشرطة يكون دائماً نفس موضع هلاكهم .. لكن طبعا قابل ذلك  
رجال الشرطة بالسخرية اللاذعة... كما أبدى في خطابه سعادته  
لعودة ابنه الوحيد إلى حالته الطبيعية .. وانتهاء

تلك اللعنة السحرية التي ابتلي بها .. مع تأكيده على أن يبقى كل  
ما حكيت سرا لا يعلمه أحد .. الأحمق ..  
ومن سيصدق تلك القصة أصلاً لو سمعها؟ ...

كنت أمضي احدى فترات حياتي .. في انتظار ولي العهد كما تقول  
علياء ... لقد جاء هذا المولود في وقته .. فقد دخل باسم حياتنا..  
وصار جزءاً مهماً فيها ... ويوما ما سيعود إلى الولايات وسيترك  
فراغاً رهيباً .. وكنا بحاجة  
ماساة إلى من يملأ ذلك الفراغ ..

وجاء اليوم الذي وقفت أودعه في المطار .. أبنتسم لي وقال في  
رقة :

- هل لديك نصيحة ما تسديها إلي ....

تأملت الأفق مفكراً.. أنا أكره تلك اللحظات.. وشعرت بخنجر  
ينغرس في صدري .. بعد لحظات سيحلق باسم في السماء عائداً  
إلى الولايات .. وهو الآن يطلب مني النصيحة.. نظرت إليه  
وحاولت أن أداري تأثيري :

- هل تعرف كيف بدأت محنتك ؟

نظر لي ولم يجب .. ثم أشاح بوجهه بعيداً.. لكنني قربت وجهه  
إلي بكفي بلطف.. ثم أكملت :

- البداية كانت مع خروجك من السرب .. الطائر يكتسب قوته  
من بقائه مع السرب .. أما لو انفصل عنه ...

وصمت، فابتسم وقد فهم ما أرمي إليه فداعتت وجنتيه بأصابعي  
مستطرداً :

- يصير ضعيفاً .. هشاً ... تتجاذبه التيارات يميناً وشمالاً



(تمت بحمد الله)